العدد الثاني - مارس 2017
ISSN: 2543 - 3814

مقدمات

مجلة فصلية محكمة

مرجعيات وتيمات النص في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية	حمزة الزاوي	الجزائر
أي مستقبل للكتابة الفلسفية في المدى العربي؟	سهيل فرح	لبنان
نحنُ وراهن المُواطنة والدولة والعَوْلمة؟	مصطفى الكيلاني	تونس
الفلسفة والأدب: طلاق أم تكامل؟	عبد الجليل بن محمد الأزدي	المغرب
القيم بين البرغماتيين والوضعيين المناطقة	غيضان السيد علي	مصر
الإيقاع الثناوي والخطاب الجسدي	عبد الرحمان مزيان	الجزائر
المنطق غير التقليدي وأهمية تدريسه في أقسام الفلسفة	أسعد الجنابي	الجزائر
المنهج الفنومنولوجي في علم النفس	صلاح قنصوة	مصر
بالفرنسية:		
الجسد محجوز بالسياسة	دريس بلحسن	فرنسا

يصدرها مخبر الفلسفة وتاريخها - جامعة وهران 2 - الجزائر

دار كنوز الإشبيلية للنشر والتوزيع

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

مقدمات

مجلة فصلية محكمة

العدد الثاني مارس 2017

باللغة العربية:

مرجعيات وتيمات النص في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية 9
د. حمزة الزاوي

أي مستقبل للكتابة الفلسفية في المدى العربي؟ 19
د. سهيل فرح

علي حرب ومغامرات النقد، من النقد إلى نقد النقد مقاربة نقدية. 29
د. عبد القادر بودومة

نحنُ وراهن المُواطنة والدولة والعَوْلمة؟ 43
د. مصطفى الكيلاني

قراءة في كتاب: الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند بن خلدون لـ«عبد القادر جغلول» 51
د. أحمد براهيم

الفلسفة والأدب: طلاق أم تكامل؟ 57
د. عبد الجليل بن محمد الأزدي

نظرية التأويل في الفكر الإسلامي 67
د نورالدين باب العياط

القيم بين البرغماتيين والوضعيين المناطقة وليم جيمس والفريد آير نموذجاً 79
د. غيضان السيد علي

الإيقاع الفناوي والخطاب الجسدي 91
د. عبد الرحمان مزيان

المنطق غير التقليدي وأهمية تدريسه في أقسام الفلسفة 95
د. أسعد الجنابي

المنهج الفنومنولوجي في علم النفس سارتر نموذجاً 101
د. صلاح قنصوة

نقد النموذج المعرفي الغربي عند عبد الوهاب المسيري 111
عبد المالك لحسن

باللغة الفرنسية:

Le corps saisi par la politique 13
DRISS BELLAHCÈNE

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

الفلسفة والأدب: طلاق أم تكامل؟

د. عبد الجليل بن محمد الأزدي
جامعة القاضي عياض / مراكش

Abstract

It's very important to mention that the question about the relationship between literature and philosophy still legal but , more than that, the primitive question before getting started talking about the nature of the relationship between those two schools ,no matter if these question may seem simple ,but, they are not trivial at all. Thus, philosophy questions are not indirect and also not taken for granted so, is it considered as a "wise lover"? or as a "research of truth"? or just an extend of a branch of problems and questions , and an attempt to get them resolved? or as being an innovation of concepts? .does the meaning of philosophy its simplicity or its different and varied methods and its historical investigations by outing the obvious theory with an absolute appointment and selection? Then, after that, what's literature? and how we may distinguish what belongs to it and what does not ,as it is known , the limits of this field are not precisely specified? and then when speaking or trying to speak about the nature of the relationship between philosophy and literature, which is the best course to adopt? The Erectile dysfunction approval and interfacial course standing on an arsenal of concepts, seeking the truth and all what is close to it? Or the course of perceptions which stands on the discourse improvements seeking only beauty?

Key words: Philosophy, literature, raison, discourses, text, semantics.

من الموائم في البداية التنبيه على أن طرح سؤال العلاقة بين الأدب والفلسفة يبقى مشروعا تماما. لكن، أكثر، مواءمة من ذلك طرح بعض الأسئلة الأولية والضرورية قبل الشروع في الحديث عن طبيعة العلاقات القائمة والممكنة بين هاتين المؤسستين. ومهما بدت هذه الأسئلة بسيطة، فإنها غير تافهة؛ إذ أن سؤال الفلسفة ليس بديهيا ومفروغا منه. فهل ينظر إلى الفلسفة كـ "محبة للحكمة" أم كبحث عن الحقيقة أم كبسط لمجموعة من المسائل والمشاكل ومحاولة إيجاد حلول لها، أم بصفتها ابتكارا وصناعة للمفاهيم؟ وهل المقصود الفلسفة هكذا بإطلاق أم الفلسفة في صيغها المتنوعة والمتعددة، وفي تحقيقاتها التاريخية ضمن انساق نظرية مجردة كاملة التحديد والتعيين؟ ثم بعد ذلك، ما الأدب؟ وكيف يمكن التمييز بين ما ينتمي للأدب وما ليس أدبا، إذ المعروف أن حدود هذا الحقل غير محدد بدقة؟ وعند الحديث-أو محاولة الحديث-عن طبيعة العلاقة بين الفلسفة والأدب، فأي طريق نختار: المسلك النسقي البرهاني- الاستدلالي القائم على ترسانة

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

مفاهيمية تنشد الحقيقة أو ما يقترب منها؟ أم طريق التخييل المبني في محسنات خطاب لا تنشد الحقيقة، إنما تطلب الجمال؟

ولا مجال للريب في أن الاختيار بين هذين الطريقين أو المسلكين يتضمن بكيفية واضحة انتصارا لأحد طرفي العلاقة: الفلسفة والأدب، مثلما يومئ استباقا إلى ما يمكن اعتباره مواقع تمايز واختلاف بين الخطاب الفلسفي والخطاب الأدبي بأنواعه وأجناسه، برغم أن منطلقهما يبقى واحدا، وقوامه الواقع بمعناه العام والشامل ثم التجربة الإنسانية الخاصة والفريدة ضمن هذا الواقع، ويقوم هذا التمايز في ثلاثة مواقع لافتة: **الأداة والوسيلة والغاية**: إذ تعتمد الفلسفة الاستدلال البرهاني كوسيلة، بينما يعتمد الأدب على التخييل، وتستعمل الفلسفة المفاهيم، مقابل المحسنات الأسلوبية أو محسنات الخطاب التي يستعملها الأدب؛ وإذا كانت الفلسفة تبتغي الـ "حقيقة"، فإن الأدب ينشد الجمال، ولا حقيقة خارج حقيقته الجمالية؛ وعلاوة على ذلك، فإن الفلسفة تقول "حقيقتها" عبر نسق منبسط ومنتشر بهذا القدر أو ذاك، في حين يطمح الأدب إلى الجمال عبر انسجام بنياته وتناغمها. لهذا نجد أن **مفهوم النسق** احتل موقعا مركزيا في جميع الفلسفات تقريبا، مقابل **مفهوم الانسجام** الذي هيمن على الكثير من الخطابات النقدية واللغات الواصفة التي اهتمت بالحقل الأدبي.

وبرغم هذا التمايز والاختلاف على الأصعدة المشار إليها فإن تاريخ المجالين يشهد بالكثير من التقاطعات والتناقضات، التي ترجح كفة التكامل على كفة القطيعة في ميزان العلاقة بين الفلسفة والأدب.

ومن يتابع تاريخ الفلسفة ابتداء مما قبل سقراط وصولا إلى نيتشه ثم دولوز، لن يجد كبير عناء في ملاحظة أنها عادت إلى الكتابة الشعرية الشذرية التي ابتدأت بها مع هيراقليطس وامبيدوقليس وأكسينوفان وغيرهم.

ومهما يكن، فإن سؤال العلائق بين الأدب والفلسفة قديم، ويشكل أحد الانشغالات الأساسية في الراهن الثقافي والمعرفي، إذ تزايد اهتمام الفلسفة بالأدب، بقدر تعاظم اهتمام الأدباء بالفلسفة. ويعود هذا إلى حاجاتهما وكذا إلى المنفعة المتجددة التي قدمها كل منهما للآخر.

وإذا شئنا الوقوف بالمسألة عند حدود النصف الثاني من القرن الماضي وبداية الألفية الثالثة. يمكن من جهة أولى ملاحظة اهتمام نوعي وأكيد بالأدب من لدن الفلاسفة؛ إذ أن الكتب الفلسفية الكبرى لجيل دولوز و ج. ب. سارتر وبول ريكور، نشرت بين 1964 و1985؛ في حين أن كتابات بيير ماشري وجاك رانسيير وألان باديو وفيليب سابو SABOT تعمل الآن على تشكيل مشهد التخوم بين الحقلين، حقل الأدب والفضاء الخاص بالفلسفة. وفي هذا السياق، تمكن الإشارة إلى العناوين التالية :

أ- جيل دولوز، **بروست والأدلة**، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1964؛ وقد أعيد نشره ضمن طبعة موسعة، مزيدة ومنقحة، عام 1970.

ب- بول ريكور، **الاستعارة الحية**، سوي،1975؛ ثم كتابه: للزمن والحكاية، 3أجزاء، سوي 1983-

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

1985.

ج-جان بول سارتر، **معتوه العائلة**، غاليمار، 1971؛ وقد شكل هذا الكتاب عرضا نسقيا ومنظما للنقد النفسي الوجودي عبر قراءة الروائي كوستافلوبير؛ ومثل كذلك موضوع نقد في كتاب عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، **قواعد الفن- تكون الحقل الأدبي**.

د- بيير ماشري، **بم يفكر الأدب؟**، المنشورات الجامعية الفرنسية، 1992. (ترجمة عربية: بيير ماشري، بم يفكر الأدب؟ تطبيقات عن الفلسفة الأدبية، بر جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009).

هـ- جاك رانسيير RONCIÈRE، **الكلام الصامت. مقالة في تناقضات الأدب**، هاشييت، 1998.

و-ألان باديو، **الوجيز في علم الجمال النقيض** ، سوي 1998.

ز-فيليب سابو، **الفلسفة والأدب-مقاربات سؤال ورهاناته**، المنشورات الجامعية الفرنسية، 2002؛ وغيرها.

وفي الإمكان القول إن سابق الكتابات يجدد فلسفة الأدب، ويعيد تحديد الفلسفة مثلما تمارس داخل النصوص الأدبية وليس فقط كما تمارس في الكتابات والمقالات الفلسفية؛ وعلاوة على ذلك، يعيد تشييد مفهوم الأدب كآلة للتفكير، تنفلت من كل تحديد دقيق كما من الارتهان داخل حدود التفكير الجمالي.

وفي الضفة المقابلة، أبدت المجلات الأدبية اهتماما واسعا بسؤال العلاقة بين الأدب والفلسفة، بل كرست له أعدادا خاصة؛ وهو ما يمكن التعرف عليه من القائمة الآتية، وهي قائمة غير منتهية:

أ- Europe، العدد849-850، يناير-فبراير2000: محور العدد: الأدب والفلسفة.

ب- Littérature، العدد 120، دجنبر 2000، ومحوره: الشعر والفلسفة.

ج-Romantisme، العدد 124، يونيو 2004؛ الأدب والفلسفة.

د-Magazine littéraire العدد 414، نونبر 2002؛ الفلسفة والفن، نهاية علم الجمال.

ينضاف إلى هذه المنابر الثقافية، المؤلفات الجماعية التالية:

-1 **الشعر والفلسفة**(2000)؛ ويضم المداخلات العلمية التي قدمت في لقاءات مارسيي عام 1997، والتي انتظمت تحت إشراف المركز العالمي للشعر بمرسيي.

-2 **الأخلاق والأدب في القرنيين 19و20**، منشورات جامعة ستراسبورغ، 2000. ويضم أعمال الندوة والتي نظمتها جامعة مارك بلوخ بستراسبورغ عام 1998.

-3 **الأدب والفلسفة**، منشورات جامعة أرتواز 2002) ARTOIS).

وإجمالا، فإن أهل الأدب عادوا صوب الفلسفة، التي عادت بدورها نحو الكتاب والأدب. ونقول «عادوا»، بعد أن استهوتهم العلوم الإنسانية وأغوتهم النظرية. فما الدلالات الممكنة لهذه العودة

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

المزدوجة والمتبادلة؟ وما حاجات وانتظارات الأدب من الفلسفة؟ وما الوظائف المطلوبة حاليا من الفلسفة، علما أنها مؤسسة، وأي مؤسسة هي دوما سيدة نفسها، ولا تخضع حقيقة وكلية للمطالب التي تقترح عليها وللنتائج المترتبة عنها؟

ومن الموائم هنا التدقيق بأن الأمر لا يتعلق بالفلسفة في ذاتها، مثلما لا يرتبط بالكتاب أنفسهم، وإنما بمجالين، أي بمؤسستين تلتقيان على أرض المعرفة وطرق اكتسابها وتعليمها. ولم يكن هذان المجالان معزولين دائما، غير أنهما صارا كذلك حقا وصوابا بفعل التخصصات الآخذة في الضيق تدريجيا، وبحكم عوامل أخرى منها طرائق ومناهج التعليم المدرسي والجامعي.

وضمن مقاربة أولى، يظهر أن من الصعب، بل من المستحيل تمييز الفلسفة عن الأدب. وطالما الكتابات الفلسفية برمتها تقدم نفسها على هيئة «أجناس» أدبية محددة بشكل واضح، ويمكن أن نكتشف في خلفيتها أسلوبا خاصا ومتميزا، فيمكن استخلاص نتيجة أولية مقتضاها أن الاختلاف بين الفلسفة والأدب هو اختلاف في الدرجة لا في الطبيعة. ومع ذلك، وعند إمعان النظر، يلاحظ أن النقد الأدبي لا يهتم بمتن الأعمال الفلسفية إلا بنوع من التردد والفتور. وإذا كان بعض المؤلفين، أمثال باسكال وروسو ومونتين ونيتشه وأفلاطون قد وضعوا في الواجهة الأمامية، فإن مؤلفين آخرين أمثال أرسطو وديكارت وكانط تم النظر إليهم بصفتهم فلاسفة فقط.

ومع ذلك، فالعلاقة بين الفلسفة والأدب طبيعية، طالما أن الفلسفة انبثقت ببطء من داخل الأشكال الأدبية الخاصة بالثقافة اليونانية القديمة؛ ذلك أن الفلاسفة قبل سقراط، وخاصة بارمينيد وأمبيدوقل، اختاروا الشكل الشعري لعرض أفكارهم الفلسفية، والسبب في ذلك بسيط نسبيا مثلما أوضح ذلك هوميروس حين شدد على أن الأسلوب الشعري بصفته وسيلة تعليمية وتربوية يطبع القواعد ويدخلها إلى الذاكرة، بعد ذلك الأوزان والقوافي تنحتها وتدمغها. غير أن مضمون الأسلوب الشعري قوامه الصورة الحسية والواقع الملموس، في حين أن مضمون الخطاب الفلسفي قوامه التجريد. ومن ثم، تتحدد القصيدة الفلسفية بالصراع القائم في بنيتها بين المضمون والشكل مثلما تقر بذلك الشهادات النقدية التي اتخذت من في هذه القصيدة موضوعا لها.

وهذا التناقض بين المبنى والمعنى يكشف صعوبة التساكن والتعايش بين الفلسفة والأدب طالما أن مقاصدهما تبدو مختلفة المنطلقات. فالفلسفة تبحث عن الحقيقة والأدب يسعى نحو الجمال. والشكل الشعري يمنع الفكر من الامتداد والتوسع ويلقي به إلى مدارات الغموض والالتباس المرتبطة بحركة الصور والاستعارات. وبالمثل فإن استعمال الأمثال والحكم، مثلما الأمر عند هيرقليطس وديمقريطس، يلجم الفكر وينزع عنه جوهره الخاص: ذلك أن المعنى المعقد أو المضمون المركب لا يمكن في الواقع ترجمته من خلال صيغ مقتضبة و كثيفة ومختزلة. وقد سبق لهيجل أن لاحظ أن الفلسفة قبل سقراط لم تستطع الامتداد من خلال شكل ملائم، وهو ما هددها بانعدام الدقة: «يوجد هنا شيء من الاضطراب واللاتمايز الذي ليس فلسفة بالمعنى الدقيق ولا يمكنه أن يصير فلسفة إلا إن تطور» (هيجل).

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

والواقع أن الفلسفة لم تنفصل عن الأشكال الأدبية وتمتلك تميزها الخاص إلا مع سقراط، وبصفة خاصة مع أفلاطون. لقد أكد سقراط أن دور الفلسفة يقوم في البحث عن الحقيقة، وذلك عبر نقد الأشكال الأدبية وإزاحة الفن إلى مدار «التقليد والمحاكاة» أي مدار الظاهري والعارض والطارئ. وفي هذا السياق، يكتسي الكتاب العاشر من **الجمهورية** أهمية بالغة، إذ يجب طرد الشعراء من المدينة لأنهم يخلقون عند الآخرين الوهم بأنهم يمتلكون كفاءة كونية ليست في الواقع إلا ظاهرية. فلا أحد يعرف جميع الحرف والمهن المتخصصة، وإذا ادعى ذلك فلن يكون إلا مخادعا. وبدل الجمع الأسطوري غير المنسجم، ستقترح الفلسفة الوليدة التقدم السياسي والأخلاقي. وعرض الآلهة الثملة بالعواطف الإنسانية، ستقترح رؤية أكثر عقلانية وأكثر أخلاقية لسؤال المصير Divin. وفي الوقت الذي يتوجه فيه الأدب إلى الأبعاد الحسية والعاطفية للإنسان، تعطي الفلسفة الكلمة في المقام الأول للعقل والبحث عن الحقيقة.

هكذا هدم سقراط الخطاب الشعري نازعا منه جانبه الموسيقي والغنائي ليبين أنه لا يتبقى منه شيء بعد هذه الغواية المباشرة: «لك أن تتخيل الصورة التي ستكون عليها أعمال الشعراء حين ننزع عنها المساحيق الفنية ونستحضرها من أجل المعنى الذي تتضمنه(...) إنها تشبه وجوه أولئك الأشخاص الذين ليس لهم من الجمال إلا نضارة الشباب بعد أن فارقتهم هذه النضارة». ومن ثم، ففي الشكل الحواري تحديدا يمكن أن ينطلق الفكر، لأنه يتوفر هنا على إمكانية الاستقامة والعودة إلى الوراء وتعديل القضايا، قصد الذهاب بكيفية دقيقة وأكيدة على طريق الحقيقة. وفي هذا السياق نفهم لماذا لم يكتب سقراط أي شيء، ذلك أن الكتابة تَعْقِلُ الفكر وتمنعه من الحركة الحرة. إنها تشبه شيئا ميتا يتعارض مع حيوية فكر يشتغل. ومع ذلك، اختار أفلاطون الكتابة محتفظا بالشكل الحواري الذي صار على هذا النحو «أول شكل أدبي فلسفي بكيفية متميزة».

ومع ذلك يجب أن نسجل أن الحوار الفلسفي لا يتضمن الحقيقة بمعناها الحصري، وإنما يتميز بانشغالِ أو هَمِّ الحقيقة. وهنا تتطابق الفلسفة مع معناها الأصلي القديم: **البحث عن الحقيقة**. ولهذا السبب يمكن اعتبار حوارات أفلاطون حوارات فلسفية حقا وصوابا بالرغم من أنها شكاكة في منظور البعض وهكذا آثر أرسطو أفلاطون بصفته فيلسوفا يستحق التكريم، وأزاح أمبيدوقل الذي عرف البحر بصفته «عرق الأرض» la sueur de la terre: إذ خارج القيمة الأدبية لهذه الصيغة، فلا تتميز بأي مجهود للذهاب نحو الحقيقة. ومن ثم توجد صيغ أدبية غير قادرة على ترجمة حركة الفكر: من ذلك مثلا الاستعارة بسبب طبيعتها الملتبسة والظرفية. والحال أن هذا الأمر الأخير يتعارض بكيفية مطلقة مع المتطلبات الخاصة بالخطاب الفلسفي. إن الاقتباس يقود إلى التناقض، والأخير يشكل عائقا جذريا من وجهة النظر المنطقية، وأفضل طريقة لفقدان الفكر وإضاعته، تقوم في النزوع نحو تجميعه في صيغ مقتضبة وغامضة في الغالب.

تحتاج طريقة التفكير الفلسفية إلى الوقت والسعة Ampleur. وإذا كان من الضروري أن تَعْبُرَ من طريق الكتابة كي تفهم بكيفية ملائمة، فالأخيرة يجب أن تكون في خدمة الرغبة في المعرفة الكلية

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

الخاصة بالفلسفة. وترتيبا على ذلك، يمكن التوكيد على أن الفلسفة تتموقع ضمن علاقة انفصال بالقياس مع الأشكال الأدبية التي تتجسد فيها. إذ الخطاب الفلسفي يثير الاهتمام أولا وقبل كل شيء باعتباره فلسفة سواء كان حوارا أو مناظرة أو سجالا أو مقالة أو رسالة أو درسا. ويتعلق الأمر هنا بمطلب العمق والملاءمة في التحليل والمتابعة في التأمل، والذي لا يوجد إلا في الخطاب الفلسفي مهما كان شكله. وعليه، فإن صرامة البرهنة وتماسك الاستدلال بهما يتمايز النص الفلسفي عن النص الأدبي. والأخير يتميز بمشاغله الأسلوبية ولجوئه إلى الخيال. وبرغم أنه يظهر أحيانا نوعا من المجهود التحليلي، فإن التحليل لا يندرج بصفة عامة ضمن المشاغل الأولى للكاتب.

ومع ذلك، فإن هذا الانفصال النسبي للفلسفة حيال الخصوصيات الشكلية جدير بقراءة نسقية ومنظمة وعميقة. إذ يظهر جليا أن قلة الاهتمام بالشكل تستتبع نقصا في الوضوح على الفهم. فبعض صفحات كانط، مثلما لاحظ ذلك بعض الدارسين تتضمن فورة واكتظاظا في الأقواس والجمل الاعتراضية، لدرجة تصبح معها المقروئية قاب قوسين أو أدنى من الاستحالة وعدم الإمكان. وعند نيتشه تحديدا نعثر على العديد من الملاحظات والانتقادات الملائمة لهذه المسألة، يقول:

«يجب ألا نضع أي ذرة من الثقة في فكرة لا تولد من الهواء الرحب والحركة الحرة، والتي لا تحتفل بها العضلات كذلك. وسؤالنا الأول حينما يتعلق الأمر بتقييم الإنسان، كتابة أو موسيقى، هو التالي: «هل يمكنه السير»

وأفضل من ذلك: «هل يمكنه الرقص».

وعلى هذا النحو، يعيد نيتشه تأهيل الفكر ما قبل السقراطي تأهيلا حقيقيا ومع تأهيل الفكر ما قبل السقراطي صيغ التعبير التي استعملها، وما يشدد عليه نيتشه في الفلاسفة ما قبل سقراط، هيراقليطس وأمبيدوقل، هو بكيفية خاصة الرؤية الجمالية للعالم. وقوامها فكرة مقتضاها أن حضارة برمتها، الحضارة الهيلينية، يرتبط مصيرها بالجمال الذي ينظر إليه كقيمة سامية ومطلقة. ومن وجهة النظر هذه، فإن قيمة الفلسفة لا تكمن في مجال المعرفة، بل في مدار الحياة. وتستمد عظمتها لا من وظيفتها في قول الحقيقة، وإنما من «خصوصيتها الفنية» ومن جمالها الكوسمولوجي. وهكذا يلتقي هنا المنظوران اللذان ميزنا بينهما سابقا. ومن ثم، يمكن للعمل الفلسفي أن يطالب بحقه في الانتساب إلى الأعمال الفنية. وبرغم أن نيتشه يشدد على أن «جميع الأنساق-من منظور علمي- تشكل وهما وخطا يخدع الحاجة إلى المعرفة ولا يلبيها إلا بكيفية مؤقتة» فإنها تحتفظ بعظمتها وجمالها على الصعيد الفني. فهل يوجد من وجهة النظر هذه اختلاف ما بين العمل الفني والفلسفة؟ وهنا مجددا يقدم نيتشه جوابا لا لبس فيه ولا إبهام: «الفلسفة فن في غاياتها وإنتاجاتها». غير أن وسيلتها التعبيرية، **المفاهيم**، تتقاسمها مع العلم، إنها شكل من الشعر يستحيل تصنيفه ويجب أن نبتكر ونحدد صنفا جديدا، وإليكم وصف الفيلسوف، **إنه يعرف وهو يبتكر، ويبتكر وهو يعرف**».

لكن ما الذي يبتكره الفيلسوف؟ إنه يبتكر أنساقا غايتها انسجام وتناغم الكل. ولا يبحث عن قول الحقيقة،

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

وإنما يسعى إلى إنتاج كلية جميلة، أي إلى إنتاج تصور للعالم يحول الحياة إلى عمل فني. وهنا يأخذ الأسلوب أهميته ويتصادى ليس فقط مع الكتابة، بل كذلك مع الفكر ومع الحياة. إن الأسلوب الذي يندرج أولا وقبل كل شيء ضمن منظور شكلي سيتملك كذلك المحتوى. والأخير، سيتولد من الشكل وسينتفي في ذاته: «لن يشخ هيرقليطس. إنه يمثل شعرا ينفلت من حدود التجربة، وهو امتداد للسليقة Instinct الأسطورية؛ إذ يعبر عن نفسه عن طريق الصور بكيفية جوهرية. إن العرض الرياضي لا ينتمي إلى كينونة الفلسفة». ولذلك كان تعلقه بالفلسفة ما قبل السقراطية شديدا. فما الذي يقوله ذلك العصر المجيد في أوجه عدا أنه اللغة بما هي معاناة لا تنتهي. قصائد ترفعت عن وسائل العقل النسقي في الاستدلال والبرهنة، واعتدت بما عانته من توتر من الجسد عند أصحابها: هكذا جاءت شذرات هيراقليطس وأكسينوفان وأسخيلوس، ثم كانت المهزلة حين حاول أفلاطون كتابة القصيدة فلم يفلح، ثم انحاز وتخندق ضد الشعراء، بكل ما أوتي من جهد الحوار النسقي (أنظر: **ديوان نيتشه**، ترجمة محمد بنصالح، منشورات الجمل، بغداد، 2005).

ما يثير نيتشه بالكتابة الغامضة والشذرية عند هيرقليطس هو تحديدا ذلك البعد الشعري، وانفجار أو فورة الصور التي تكشف الحقيقة وتخفيها في الآن نفسه. ومع ذلك، من المستبعد أن هذه المقاربة للفلاسفة ماقبل سقراط، مَسْرَحَها وأخرجها على شاكلة أمبيدوقل ذي الجلالة العجيبة والغريبة التي تشخص في منظوره مثال الفيلسوف والنبي، الذي سيولد من جديد على شكل زرادشت. وقد اتهم البعض **زرادشت** بـ «رمزية مبتذلة ومتجاوزة» وبتعبير غنائي ونبوي إذا لم يكن غريبا عن الفكر، فليس من الفلسفة في شيء. وهذا «الإقصاء» دال على نمط من الأرثوذكسية الفلسفية التي تعتبر ألا وجود للغفران خارج الكتابة النسقية الثقيلة التي تنسج بصبر المنديل الشاسع للحقيقة. لكن هل يمكن إقصاء بعض النصوص وبعض الشذرات بدعوى أنها ليست نسقية؟

أليست فكرة النسق هي نفسها ما يحد من قدرة الفكر على استيعاب الواقع في تعقيده؟ من المحتمل جدا أن كل نسق ينفتح على محاولة دوغمائية تهدده بالخيبة والفشل. ويعلمنا التاريخ أن جميع الأنساق الفلسفية تم التخلي عنها تباعا. ولكن إن كانت هذه الأنساق ما تزال تحدثنا، فلأن «الفلسفي» يقع خارج وفيما وراء نسقيتها؛ ومن الواضح للوهلة الأولى أن هذا «الفلسفي» نفسه يشتغل كذلك داخل كتابة شذرية وغير ناجزة أو مكتملة، مثل كتابة نيتشه، التي تكرس عودة الفلسفة إلى أشكال من التعبير أدبية بامتياز. فالحكمة (المثل)Aphorisme تتلاءم تماما مع رؤيتها الجمالية للعالم التي لا يمكن التعبير عنها ضمن كتابة نسقية. وعلى النحو نفسه، يعاد تثمين وتقويم الأدب نفسه، الذي لم يعد يموقع في جحيم هوامش «الفلسفة الكبرى».

ومعظم التيارات الفلسفية الحديثة الكبرى وبصفة خاصة الوجودية، استعمل الرواية والمسرح لتشخيص التجربة المعيشة التي تصير مركزية في صلب هذه الفلسفات. هكذا، فإن تجربة روكينتان في رواية **الغثيان** لجان بول سارتر تؤخذ بصفتها نموذجية للشرط الإنساني. ويسمح الشكل الروائي هنا بإعطاء قوة خاصة لهذه التجربة وبالحديث بقوة مع خيال القارئ، ومع عقله كذلك؛ ومن البديهي أن قارئ رواية **الغثيان** يُدْمَجُ في فلسفة سارتر ويهيأ لقراءة كتاب **الوجود والعدم**. فهل يجب أن تكون

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

قراءته عميقة ومتمهلة وصبورة. والسؤال الذي ينطرح هنا هو التالي: ألا يتضمن النص الأدبي الفلسفي، الروائي والمسرحي، غموضا مزدوجا. من جهة أولى تضمين كونية الفكر الفلسفي في تجارب مشكوك فيها. ومن جهة ثانية، تضمين الفكرة الفلسفية التي تسعى إلى التعبير عنها في الملاءمة الأدبية البحثة للعمل الفني»؟

وما يؤخذ عن سارتر هنا هو تقديم تجربة فريدة (تجربة روكنتان) بصفتها كونية، مع أن هذه التجربة مشكوك فيها، علما أن الإحساس بالإهمال وعبثية الوجود الإنساني لا يتضمن ما هو كوني غير أن ما يميز الأدب هو تقديم أوضاع نموذجية أو مثالية ونمطية عن طريق التخييل la fiction، ولكنها تتقاطع مع أوضاع معيشة وتحملها إلى مستوى راقٍ من التعبير. ومن هذا يمكن استخلاص بعض ما يهم الشرط الإنساني في كليته. إن الأدب (الجميل) نموذجي دوما؛ وهذا يعني أن الأفكار التي ينسجها تدريجيا تساهم في تقييم البعد الكوني الذي يتجاوز الطابع الخاص للموقف، ولشخصيات العمل الفني برمته؛ وحتى لو كانت الفكرة مطروحة بكيفية مسبقة (مثلما الأمر في رواية **الغثيان**) فمن الممكن -إذا كانت الموهبة الأدبية قائمة حقيقة- ابتداع حقائق عامة من خلال حركة الكتابة.

ولا تتدنى القيمة الفنية للرواية أو العمل المسرحي بسبب انطلاقهما من فكرة فلسفية مجردة. فالرواية لا تكتب أبدا بكيفية استباقية، بالرغم من وجود خيط ناظم. إذ وحدها الروايات الرديئة تبقى مرتهنة ضمن القبلي والمسبق: أما **الغثيان** فهي رواية جيدة، ونحن نقدرها باعتبارها عملا فنيا. أما أنها تتضمن فوق ذلك عناصر تهم فلسفة بعينها، فهذا لا ينزع عنها طابعها الروائي. وترتيبا على ذلك، فإن من يهتم بفلسفة سارتر، فإن قراءة **الغثيان** تمثل كشفا حقيقيا. إن كتاب **الوجود والعدم** هو التشكيل الفلسفي la mise enforme لتجربة روكنتان Roquentin.

وفي نهاية المطاف، ما الذي يقود إليه التفكير في علائق الفلسفة بالأدب؟ إن المؤاخذة الرئيسة التي وجهها البعض للأدب قوامها أنه غالبا يُقَنِّع خلف منحاه الجمالي عروضا تنتمي إلى المشترك والقبلي والمسبق، وأنه في جميع الحالات لا يصنع «المعنى» وأوهام ومسبقات السيكولوجيا المشتركة، يجب أن نهاب من استعادة العمل الأدبي لها لحسابه الخاص. وهذا ما نلحظه في أشهر وصف روائي وأكثره استعمالا. أي حينما يصف مارسيل بروست الذاكرة. إذ لا يعمل إلا على استثمار شكل معجب لتثبيت حكم مسبق ينزع نحو أن يرى في الذكرى «ظهورا معادا» مضبوطا ودقيقا واعتباطيا».

ويرى كلودكودوس KHODOSS أن «الوثيقة» الأدبية لا يمكن أن تستغني عن النقد الفلسفي؛ ومع ذلك، يبدو واضحا أن هذه الملاحظات تنسى امرأ جوهريا، فأن نختزل منظور الذاكرة ضمن رواية بروست في مسألة سيكولوجية قديمة، والتشديد على النزوع الكامن في استحضار إحساس مضى، وهذا خطأ مشترك، معناه التراجع بكيفية فريدة أمام الكاتدرائية الأدبية التي شيدها بروست كبحث عن الزمن الضائع. وعلاوة على ذلك، فإن مقارنة السارد البروستي مع إيرين IRÈNE وكاستون، مرضى جانيت، اللذان يعود ماضيهما بكيفية هَلَسية، يعني فقدان التمييز والبصيرة، في حين يتم الزعم تحديدا أن الأمر يتعلق بنقد فلسفي.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

وإذا كان مؤكدا أن مسألة الذاكرة يتم الاستشهاد بها غالبا عند استحضار رواية بروست، فإن مسألة الذاكرة اللاإرادية، ما المادلينة الشهيرة، ليست بالتأكيد الأمر الجوهري هنا. ففيما تكمن وحدة رواية بحثا عن الزمن الضائع ؟ إننا نعرف على الأقل أنها لا تكمن في الذاكرة وفي الذكرى، ولو كانت لا إرادية.

إن الجوهري في الرواية ليس المادلينة أو البلاط (...) وإنما الجوهري، في منظور بروست، أجراس مارتنفيل وجملة فانتوي الصغيرة، اللذان لا يثيران أي ذكرى وأي انبثاق للماضي، ويحملانه دوما إلى المادلينة والبلاط، الخاضعين للذاكرة، واللذان يحيلان إلى «تفسير مادي». ولا يتعلق الأمر بعرض للذاكرة اللاإرادية، وإنما بحكاية تعلم. وبشكل أكثر دقة، تعلم رجل الآداب. ووحدها قراءة متأنية وعميقة وشاملة، من النمط الذي أنجزه جيل دولوز، يمكنها أن تسمح باكتشاف المشروع البروستي ونظامه الداخلي. ومن الأكيد، بسبب ضخامة الرواية وتعدد الموضوعات التي تتصدى لها، أن في الإمكان دائما اختيار هذا المقطع أو ذلك خارج سياقه، لإظهار الوهن الفلسفي فيه. ومع ذلك فإن انتقاء مقاطع أخرى بعناية (اختيار مقطع من المقاطع عمل فلسفي عميق) يسمح بتراجع أكيد ويشرع الباب أمام قراءات فلسفية ساشعة وممتدة بكيفية لافتة للانتباه.

وترتيبا على ذلك، يمكن التوكيد على أن الفلسفة والأدب لا يتبادلان الإقصاء، وإنما ينخرطان في علاقة تكامل. والأمر الوحيد المطلوب، قوامه الحد الأدنى من البصيرة النقدية والعمق والأصالة في قراءة وتأمل النصوص مهما كانت طبيعتها. ولا شك أن فائدة الأدب ومنفعته تتحددان في أنه يتيح فهم الأفكار المعقد نسبيا، عبر أشكال مألوفة من التجارب التي يمكن أن يعيشها كل إنسان.

مراجع للتوسع والاستئناس

-**الأزدي عبد الجليل بن محمد**، بورديو بيير: الفتى المتعدد والمضياف، منشورات الملتقى، ط1، فبراير، 2009، ط2، منشورات القصبة، الجزائر، 2009.

- **الأزدي عبد الجليل بن محمد**، جيل دولوز: الفوضوي المتوج وتكرار الاختلاف، مراكش: منشورات اتحاد كتاب المغرب، 2009.

- **جيرار جنيت**، خطاب الحكاية-بحث في المنهج، ترجمة وتقديم عبد الجليل بن محمد الأزدي ومحمد معتصم وعمر حلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1996.

- Badiou, Alain. *Petit Manuel d'Inesthétique*, Paris: Seuil, 1998.

- Bonnefoy, Yves. *Les Tombeaux de Ravenne*, Paris: Gallimard, Coll. Poésie, 1999.

- Bourdieu, Pierre. Les Règles de l'Art. Genèse et structure du champ littéraire, Paris: seuil, 1992.

- Campion, Pierre. *La Réalité de Réel. Essai sur les Raisons de la Littérature*, Paris: Presse Universitaires de Rennes, 2003.

- Campion, Pierre. *Lectures de la Rochefoucauld*, Paris: Presses Universitaires de Rennes, 1998.

- Macherey, Pierre. *A quoi pense la littérature*, Paris: PUF, 1992.

- Proust, Marcel. *A La Recherche du Temps Perdu, 19131927-*. Paris: Bernard Grasset, 1913.

- Ricœur, Paul. *La Métaphore vive*, Paris, Seuil; L'Ordre philosophique, 1975.

- Ricœur, Paul. *Temps et Récit*, Paris: Seuil, L'ordre philosophique 3 tomes, 19831985-.

- Roncière, Jacques. *Mallarmé. La Politique de la Sirène*, Paris: Hachette, 1996.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner

- Roncière, Jaques. *La Parole Muette*, Paris: Seuil, 1998.
- Sabot, Philippe. *Philosophie et Littérature, Approches et enjeux d'une question*, Paris: PUF, 2002.
- Sartre, J.P. *La Nausée (1938) et l'Etre et le Néant « essai d'ontologie phénoménologique (1943) »*.
- Sartre, Jean-Paul. *L'Idiot de la famille*, Paris: Gallimard, 1971.
- Deleuze, Gilles. *Proust et les signes*, Paris: PUF, 1964.

www.manaraa.com
Scanned by CamScanner